قاموس فضائل القديسة

مريم العذراء

للقس اغسطينوس حنا

ما أكثر الكتب التى كتبت بجميع لغات الدينا فى تكريم وتمجيد وتطويب قديستنا العظيمة المحبوبة عذراء الجليل ومطوبة الأجيال مريم. فهى التى نطق الروح القدس على فمها «منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى لأن القدير صنع بى عظائم وأسمه قدوس» (لو١: ٤٨).

وقد بدأ تطويب العذراء فى حياتها مراراً، وكان أولها قول القديسة أليصابات لها بالروح القدس «طوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب» (لو١: ٤٥)، ومرة أخرى عندما هتفت إمرأة من الجمع مُعَبِرّة عن أعجابها بالسيد المسيح وجمال وروعة تعاليمه بقولها له: «طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما» (لو١١: ٢٧ ، ٢٨).

والمرة الثالثة فى رد الرب يسوع على هذه المرأة «بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه» فأوضح لهذه المرأة وللعالم كله أن هذا التطويب ليس فقط لأن القديسة مريم حملته فى بطنها وأرضعته، ولكن بالأكثر لأنها حفظت كلمة الله وعملت بها، كما أنه حوّل ذلك التطويب لكل من يتمثل بأُمه العذراء فى حفظ كلمة الله علماً وعملاً وهو ما أكده فيما بعد ثلاث مرات فى سفر الرؤيا (رؤ١: ٣ ، ٢٢: ٧ ، ٢٢: ١٤).

وفى هذه النبذة الصغيرة أردت تجميع فضائل القديسة مريم العذراء - بقدر الأمكان - تحت أسم (قاموس) بذكر فضائل العذراء وألقابها الكتابية والكنسية أمام كل حرف من حروف الأبجدية التى تؤكدها وهى:

أ + إيمان: قالت لها أليصابات بالروح القدس **"طوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب"** (لو١٤٥) رغم غرابة هذه البشارة بالحبل الآلهى على خلاف الطبيعة والعقل والعلم وإنما كانت إتماماً لنبوة أشعياء يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد أبناً وتدعو أسمه عمانوئيل» (أش٧: ١٤).

+ أعمال صالحة: ظهرت فى خدمتها المتفانية لإبنها مخلص العالم وتلاميذه وخطيبها وجميع المؤمنين الذين إلتجئوا إليها بطلب الشفاء والمعونة أو الإنقاذ (مثال متياس الرسول).

+ أُمومة مقدسة: فصارت خير مثال لكل أُم مؤمنة بل لكل إمرأة فاضلة ثمنها يفوق اللآلئ، تفتح فمها بالحكمة وفى لسانها سنة المعروف وتبسط كفيها للفقير وتمد يدها إلى المسكين، يقوم أولادها ويطوبونها بنات كثيرات عملن فضلاً أما أنتِ ففقت عليهن جميعاً» (أم٣١: ١٠ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٨). فهى أم النور وأم المُخلّص ووالدة الآله وأم المؤمنين كما قال المسيح ليوحنا «هوذا أمك» (يو١٩: ٢٧).

+ **إحتمال الألم:** فكم تألمت العذراء فى ولادتها فى مذود للبقر عندما لم يوجد لها موضع فى المنزل (لو٢: ٧). وكم تألمت عندما قال لها سمعان الشيخ «وأنت يجوز فى نفسك سيف» (لو٢: ٣٥). وكم تألمت عندما أعلن الملك هيرودس حربه ومذبحته لأطفال بيت لحم وأضطرارها للهروب ليلاً والسفر إلى مصر (مت٢: ١٤) .. وكم وكم تألمت عند مشاهدتها لصلب إبنها وجلده والتفنن الشيطانى فى تعذيبه والهزء به وجحود الشعب لمحبته ومعجزات رحمته وخيره وشفائه لهم.. وقد احتملت القديسة مريم كل هذة الآلام بصبر.

+ **إنتصار:** ففى هذه جميعها عظم إنتصارها بإيمانها وصبرها وكمالها بلا لوم.. ومن ألقابها ما نصفها به فى صلاة باكر «الأُم الباقية عذراء».

ب) بتولية، وبركة، وبساطة، وبراءة وبر:

فالقديسة مريم العذراء ظلت بكراً عذراء بتول، من قبل وأثناء وبعد ولادتها، فهذا الميلاد المعجزى أو التجسد الآلهى منها لم يمس بتوليتها، كما نقول فى صلاتنا «وبتوليتها مختومة» أو «محفوظة» إتماماً لنبوة حزقيال النبى حسب إجماع آباء الكنيسة من مفسرى القرون الخمسة الأولى" **فقال لى الرب هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب الأله دخل منه فيكون مغلقاً**" (حز٤٤: ٢). وتشبه ولادة المسيح مع إستمرار بقائها بكراً عذراء بتول خروجة من القبر والحجر عليه مختوم وخروجه من الأكفان وهى ملفوفة بذات لفاتها ودخوله على التلاميذ فى العلية وأبوابها مغلقة.

أما البركة فقد إتفق رئيس الملائكة جبرائيل مع القديسة أليصابات فى ذات القول الواحد للعذراء «مباركة أنت فى النساء» (لو١: ٢٨ ، ٤٢).

وأما البساطة والبراءة والبر فهى ملامح حياتها وأقوالها وأعمالها بإمتياز «ففقت عليهن جميعاً».

ت) + تعفف: تميزت بتعفف اليد واللسان والحواس، وهذه العفة مستمدة من إمتلائها بالروح القدس وثماره وشهادة الله عنها «واحدة هى كاملتى». رأتها البنات فطوبنها، الملكات والسرارى فمدحنها» (نش٦: ٩).

+ **تسبيح:** وهذا ظاهر من نشيدها الرائع المُسمّى Magnifica «تعظم نفسى الرب ..» ويُسمّى بمزمور العهد الجديد. ورغم وداعة العذراء فقد أسماه أحد علماء الكتاب المقدس الأجانب «وليم باركلى» بأنه «يعتبر أعظم وثيقة ثورية» إذ يتضمن **(١) ثورة أخلاقية** «شتت المستكبرين بفكر قلوبهم»، **(٢) ثورة إجتماعية** «أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين»، **(٣) ثورة إقتصادية** «أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء

فارغين» (لو١: ٤٦ ٥٦).

+ **تواضع:** **"هوذا أنا أمة الرب .."** (لو١ :٣٨)، **"لأنه نظر إلى إتضاع أمته"** (لو١: ٤٨).

+ **تأمل:** أكثر من مرة نقرأ «وأمّا مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها» (لو٢: ١٩)، «وكانت أُمه تحفظ جميع هذه الأمور فى قلبها» (لو٢: ٥١).

+ **ومن ألقابها الكنسية "تابوت العهد"** بإعتبار أن تابوت العهد كان يضم فى داخله كلمة الله، الوصايا العشر أو لوحى الشريعة، وقسط المن الذى يرمز لجسد المسيح، وعصا هرون التى أفرخت، وكان هرون رئيس الكهنة يرمز للمسيح، وعصاه التى أفرخت بمعجزة تشير للحبل والميلاد العذراوى بمعجزة.

ث) **ثمر:** كانت حياة العذراء مثمرة كما ندعوها فى صلاة الساعة الثالثة «الكرمة الحاملة عنقود الحياة». كما كانت ممتلئة بثمار الروح القدس التسعة «محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف» (غل٥: ٢٢ ، ٢٣).

ج) + **جمال الروح والنفس والجسد:** صار جميع فنانىّ العالم يتبارون فى رسم صورها وإظهار جمال النعمة والوداعة والطهارة فى ملامحها إذ مكتوب «يُجمّل الودعاء بالخلاص» (مز١٤٩: ٤).

+ الجلال والجدية: تمتعت العذراء أيضاً بالجلال والمهابة والجدية فى حياتها ورسالتها وملابسها الوقورة فكانت كالملائكة. وصدق من قال فى وصف بشارة الملاك لها بقوله: (ملاك فى حضرة ملاك)!

ح) **حب، حكمة، حنان، حرارة روحية، حلم، حفظ كلمة الله،** ومن ألقابها «حوّاء الثانية»، «وحالّة الحديد» وهو وصف مستمد من معجزتها التاريخية المشهورة مع متياس الرسول بإخراجه من السجن بشفاعتها. **ومن ألقابها أيضاً "الحمامة الحسنة".**

خ) **"خيمة الأجتماع التى كانت أول كنيسة فى التاريخ** ليسكن الله مع الناس» (خر٢٥: ٨)، وكلها رموز للمسيح والكثير منها رموز للعذراء، كما أشرنا، ولأن المسيح سكن فيها.

د) **دالة:** ويظهر من دالتها عند أبنها أنها لما أخبرته فى عرس قانا الجليل بأنه «ليس لهم خمر»، وبدا كأنه معترض «مالى ولك يا إمرأة، لم تأت ساعتى بعد»، أنها لم تلح فى الطلب بل لم تكرره وإنما كانت واثقة من دالتها عنده فقالت على الفور للخدام «مهما قال لكم فإفعلوه» (يو٢: ٤ ، ٥).

ذ) **ذكر الله الدائم فى الصلاة وحفظ كلمته** «يا ذاكرى الرب لا تسكتوا ولا تدعوه

يسكت حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبحة فى الأرض» (أش٦٢: ٧). «ذكرى الصدّيق للبركة» (أم١٠: ٧).

ز) زهد – زيتونة خضراء – ومن ألقابها "الزهرة النيرة غير المتغيرة".

كانت مريم فقيرة مادياً لا تملك بيوتاً ولا سيارات ولا حسابات فى البنوك. وكانت زاهدة فى كل مقتنيات العالم، لأنها كانت غنية بالنعمة والإيمان والفضائل وعلاقتها بالرب ومن يملك الله يملك كل شئ وتعتبر أغنى من أصحاب الملايين حتى أن ألوف الكنائس والأديرة صارت مسكناً لها وتدعى بإسمها .. بل ملايين العذارى والراهبات يكرسن حياتهن على صورتها ومثالها. أما لقب الزيتونة الخضراء فيرمز للسلام والنصرة والفرح فى حياتها.

س) سهر – سرعة فى عمل الخير، ومن رموزها سلم يعقوب:

العذراء هى أُمّ العذارى الحكيمات الساهرات اللواتى مصابيحهن ممتلئة بالزيت على الدوام. وهى المرموز إليها بحمامة نوح التى حملت إليه غصن الزيتون فى فمها معلنة إنتهاء الطوفان والغضب والدينونة. فقد حملت لنا مُخلّص العالم من الخطية والشيطان والموت والدينونة، ورئيس السلام الذى صنع سلاماً بين الله والإنسان ...

أمّا السرعة فى عمل الخير فظاهره من تحركها السريع عقب سماعها من الملاك جبرائيل أن نسيبتها أليصابات حُبلّى فى الشهر السادس وبمجرد إنصراف الملاك يخبرنا إنجيل لوقا "**فقامت مريم وذهبت بسرعة إلى الجبال** إلى مدينة يهوذا ودخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات ... ومكثت معها تخدمها لمدة ثلاثة شهور حتى ولدت (لو١: ٣٩-٥٦).

ومن رموزها سلم يعقوب بإعتبار ان الله نزل إلينا من السماء عن طريقها.

ش) شركة – شكر – شهادة – شفاء – شفاعة – شفافية... ومن ألقابها "شورية هرون". فكان لها حياة الشركة الدائمة والعميقة مع الرب منذ طفولتها إذ تربت فى الهيكل وكانت تحفظ صلوات المزامير. والشكر ظاهر فى كلماتها «تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى. لأن القدير صنع بى عظائم وأسمه قدوس ورحمته إلى جيل الأجيال»... ألخ.

وشفاعتها ظهرت فى عرس قانا الجليل إذ تمت المعجزة بناء على طلبها وشفاعتها المقتدرة بالرغم من أن ساعة خدمة المسيح العلنية لم تكن قد جاءت. وأمّا الشورية أو المبخرة فتحمل فى داخلها الجمر الفحم المشتعل بالنار وقد حملت العذراء جمر اللاهوت، الله المكتوب عنه «نار آكلة» فى أحشائها.

ص) صلاة - صوم - صمت - صليب - صبر - صلاح - صفح - صعود:

هذه ثمانية فضائل وصفات وأعمال. أشرنا إلى بعضها فيما سبق وأكتفى هنا بالإشارة إلى الصمت والصليب والصعود. فقد كانت العذراء ميالة إلى الصمت مع الناس مشغولة بالحديث مع الله فى الصلاة. كانت قليلة بل نادرة الكلام فلم يذكر لها البشيران متى ومرقس ولا كلمة واحدة. وأورد لها البشير يوحنا كلمتين أثنين (يو٢)! ولا شك هذه موهبة نادرة عند البشر عموماً وعند النساء خصوصاً !

أما الصليب المشار إليه بالسيف فى حديث سمعان الشيخ معها «يجوز فى نفسك سيف» فهو آلام وأوجاع صلب إبنها ورفضه، ومعروف قلب الأم التى تحس وكأنها هى التى تتعذب وتُصلب!

وأما الصعود فهو معجزة صعود جسدها إلى السماء المذكورة تفاصيله فى تقليد وسنكسار الكنيسة ١٦ مسرى الموافق ٢٢ أغسطس من كل عام.

ض) ضبط النفس - ضمير صالح - ضد الوسط الشرير:

يقول الكتاب ان الذى يجاهد «يضبط نفسه فى كل شئ». وكانت العذراء منذ صباها ضابطة لنفسها كطفلة يتيمة الأب والأم، صبورة، وفى شبعها بالسماويات داست على عسّل الأرضيات، بكل ضمير صالح بلا لوم. وكانت ضد الوسط الشرير فى الناصرة التى لم تكن مدينة حسنة السمعة حتى تعجب نثنائيل بسؤاله الأستنكارى «أ من الناصرة يمكن أن يكون شئ صالح؟!» (يو١: ٤٦).

إنها تشبه «زهرة المستنقع» التى تحتفظ ببياضها الناصع رغم إحاطتها بالأوحال لأنها تستمد عصارتها من بطن الأرض. وهى بهذه الصفة توبخ جميع الذين يبررون خطاياهم بمجاراة الوسط الشرير المحيط بهم.

ولذلك يُعلق القديسون على ذلك بالقول: «أن حواء الأولى غرقت فى الميناء، بينما حواء الثانية نجت فى الناصرة»!

ط) طهارة .. وطول آناة.. وطاعة:

كانت مريم العذراء طاهرة كأشعة الشمس، وطويلة الأناة وهذه أحد ثمار الروح القدس التسعة (غل٥: ٢٢ ، ٢٣).

وكانت مطيعة للرب بل واُستاذة فى تعليم الطاعة حتى كانت عظتها الوحيدة المسجلة فى عرس قانا الجليل والمركزة فى أربع كلمات إنها قالت للخدام «مهما قال لكم فإفعلوه»(يو٢: ٥)

ظ) ظهورات وتجليات: فقد تجلّت العذراء فى بلاد كثيرة وفى مصر شاهدنا تجليها فى كنيسة العذراء بالزيتون يوم ٢ إبريل ١٩٦٨ وما بعده وفى شبرا والوراق وأسيوط. وظهورها فى لورد بفرنسا وفى البرتغال ... ألخ. كما تجلت فى معجزة نقل جبل المقطم بالقرن العاشر وصاحب هذه التجليات معجزات وأشفيه.

ع) عطاء - عطف - عمق - عفة:

ومن رموزها عصا هرون والعليقة. ان معظم ما كتب عن العذراء تناول وضعها العقيدى والطقسى وفضائلها الكتابية، ولكن ما أقل ما نعرف عن تفاصيل حياتها. ولكن من القليل الذى أعلنه الإنجيل عنها نستطيع أن نستنتج إنها كانت تتمتع بالكثير من صفات الكمال الأخرى كالعطاء والعطف والغفران والشعور بالغربة.

أما العمق فظاهر من قلة كلامها وتأملها وصلواتها ونشيدها. ومن رموزها العليقة التى نرنم مديحتها: «مثال أم النور طوباها حملت جمر اللاهوتية تسعة أشهر فى أحشاها ولم تمسسها بأذية»

غ) غفران وغربة:

إن من ذُكرت فى النبوات منذ بدء الخليقة، ووصفت بالكمال والأمتلاء من الروح القدس، بل وكان مجرد سلامها على أليصابات كافياً أن يملأها بالروح القدس، من الصعب أن نتصورها تخاصم أو تحقد أو تنتقم أو حتى تغضب وتحتد وتصرخ وتصيح! فهى كالحمامة الوديعة الهادئة تغفر وتحتمل وتصلى لأجل المسئ وما أشبهها بإبنها الكامل الصفات، «الذى لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته».

كما أن من أعتاد على الرؤى السماوية وظهور الملائكة وقوات الدهر الآتى لا يمكن أن يشتهى شيئاً من هذا العالم الفانى بل يشعر بالغربة فيه ويشتهى ان ينطلق منه ليكون مع المسيح وخاصة والدة الأله وأم ملك الملوك ورب الأرباب.

ف) فرح - فهم روحى - فقر إختيارى - فكر سماوى:

ومن رموزها فلك نوح. وهذا الفرح الروحى المثالى الكامل واضح من نشيدها "**تبتهج روحى بالله مُخلّصى**"، وترنيمتنا «أفرحى يا مريم ..» وأما الفلك فيرمز مباشرة للمسيح وبطريق غير مباشر للعذراء التى أتت بالمسيح عن طريق التجسد.

ق) قداسة - قوة روحية - قيادة آلهية:

ان من يقترب من القدوس يتقدس فكم بالأولى من يحمله فى جسده ومن يعيش معه كل حياته. وتمتعت العذراء بالقيادة الألهية عن طريق الروح القدس وظهورات الملائكة لها فى الصحو والمنام.

ك) كمال - كرامة - كلمة الله:

ومن رموزها الكرمة. كانت مريم كاملة كمالاً نسبياً أى بشرياً وتتمتع بكرامة كبيرة وتحفظ كلمة الله بشهادة السيد المسيح كلمة الله المتجسد منها ولها كرامة أم الملك الجالسة عن يمينه (مز٤٥) والمتسربلة بالشمس (رؤ١٢: ١). وأما رمز الكرمة فقد وصفتها به الكنيسة «بالكرمة المشتهاة» والمثمرة.

(ولا ينال منه بعض أبناء الطوائف التى لا تكرمها كما يجب بإدعائهم أن لقب الكرمة الحقيقة خاص بالمسيح وحده وأن الله قال مجدى لا أعطيه لآخر. والرد على ذلك أن المسيح قال عن نفسه «أنا نور العالم» وقال أيضاً عن المؤمنين «أنتم نور العالم» ولا تعارض هنا فنور أولاد الله مكتسب ونور المسيح أصيل مثل نور القمر المستمد من الشمس. ومع ذلك قال المسيح للآب فى صلاته الشفاعية **"وأنا أعطيهم المجد الذى أعطيتنى"** (يو١٧: ٢٢). وقوله «انقذه وامجده» (مز٩١: ١٥).

ل) لطف: وهو من ثمار الروح القدس وأولاد الله.

م) محبة - مواساة - مواهب الروح القدس - ملئ:

(من رموزها المجمرة الذهب). كانت القديسة العذراء ممتلئة بالروح وثمارة ومواهبة ومنها الإيمان والحكمة والعلم ومواهب الشفاء وعمل القوات والنبوة وتمييز الأرواح (١كو١٢: ٤-١٠).

ن) نعمة - نقاوة - بهجة - نشاط:

(من رموزها نسل المرأة). قال لها الملاك جبرائيل «سلام لك أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك مباركة أنت فى النساء .. لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله» (لو١: ٢٨-٣٠). **فهذه التحية الرائعة التى لم يتمتع بها مخلوق من قبل رئيس الملائكة تشمل تكرار كلمة النعمة ثم الشركة فالبركة.** وهى المرأة التى نسلها سحق رأس الحيّة إبليس (تك٣: ١٥).

هـ) هدوء - هداية: كانت القديسة مريم العذراء هادئة كالنسيم الحلو وكانت شفتاها تهديان كثيرين (أم١٠: ٢١).

و) وداعة - وقار - ود - وفاء: **(من ألقابها والدة الآله).**

ى) يقظة - ينبوع تعزيات: «ينبوع جنّات. بئر مياه حيّة» (نش٤: ١٥). وهى «جنة مغلقة. عين مقفلة. ينبوع مختوم» (نش٤: ١٢). كما انها هى المشرقة مثل الصباح جميلة كالقمر طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية» (نش٦: ١٠).

بركة وشفاعة ومعونة وقدوة أمنا العذراء القديسة مريم لتكن معنا. آمين.

St. John Coptic Orthodox Church
Covina, California
Tel. (626) 820-2739 • Book Store: (562) 900-2695
Email: frhanna@mystjohn.org • Website: www.mystjohn.org